الأمريكيون في هافانا

سائحة مع بائعات الزهور التقليدية في هافانا القديمة، كوبا

نيكول لافرامبواز

ليس من الواضح ما هو عدد الأمريكيين الذين يحلمون بالسير في شوارع هافانا مثلما فعل إرنست هيمنغواي في يوم من الأيام وهو يحتسي كوكتيلات «كوبا ليبرس» أو «الدياكيريس» ويقود سيارته الكلاسيكية إلى منزله خارج المدينة المعروف باسم *Finca La Vigia*، أي المنزل العالي. ولكن ربما يكون العالم على وشك معرفة ذلك.

فيمكن أن يؤدي التقارب بين الولايات المتحدة وكوبا إلى الإلغاء الكامل للقيود المفروضة على السفر بين البلدين، ونظرا للتاريخ العاصف والمثير بينهما، يمكن أن تفتح حرية السفر إلى كوبا الباب أمام تدفق أعداد كبيرة من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية المتشوق لرؤية هافانا التي كان يعتز بها كثيرا الكاتب الأمريكي الحائز على جائزة نوبل.

ولا يزال تأثير إزالة جميع الحواجز المفروضة على السفر بين الولايات المتحدة وكوبا غير مؤكد لكنه موضع اهتمام كبير في المنطقة. فالسياحة هي المحرك الرئيسي للنمو والعمالة في العديد من بلدان الكاريبي الجزرية، حيث تعتبر كوبا عملاقة ليس من حيث مساحة أراضيها وحسب بل أيضا كمقصد سياحي. وكوبا ثالث أكبر مقصد للسياح في منطقة الكاريبي بعد كانكون في المكسيك والجمهورية الدومينيكية. وقد زار كوبا أكثر من ٣ ملايين شخص في عام ٢٠١٤، وفقا لرابطة الفنادق والسياحة الكوبية، وهو ما يمثل زيادة نسبتها ٥,٣٪ عن عام ٢٠١٣. وجاء معظم السياح من كندا وأوروبا وأمريكا الجنوبية.

يمكن أن تؤدي عودة العلاقات بين الولايات المتحدة وكوبا إلى هزة كبيرة للسياحة في منطقة الكاريبي

حانة الفلوريديتا، من الأماكن المفضلة لإرنست هيمنغواي، هافانا، كوبا.

القرب من الوطن

والسؤال المهم هو ما الذي سيحدث عندما تفتح السوق ذات أكبر عدد من السياح في المنطقة أبوابها أمام أكبر مورد محتمل من المعالم السياحية، وهو مورد على بعد مسافة قصيرة من الولايات المتحدة مقارنة بمعظم المقاصد.

وهناك علاقات تجارية بالفعل بين الولايات المتحدة وكوبا، وخاصة في مجال تصدير الأغذية والمنتجات الطبية مقابل النقد (منذ عام ٢٠٠٠). وبعد أن خففت الولايات المتحدة الحظر الذي فرضته على مواطنيها بشأن السفر إلى كوبا (لأغراض محددة) في عام ٢٠١٢، زاد عدد السياح الأمريكيين المتجهين إلى كوبا بنسبة ٣٣٪ على الفور تقريبا إلى نحو ٩٨ ألف شخص. ولكن سيصبح هذا الرقم ضئيلا مقارنة بالعدد الذي سيكون عليه الحال إذا رُفعت القيود المفروضة على السفر تماما.

ولكن هل يمكن أن تستوعب كوبا ارتفاعا مفاجئا في عدد السياح؟ فالبلد لديه نظام معقد من العملات الموازية، البيزو للكوبيين، وبيزو قابل للتحويل للسياح، وأسعار صرف متعددة أخرى. وهذا الأمر وحده يجعل من الصعوبة إجراء مقارنات دولية بشأن جملة أمور مثل حجم السوق أو الطاقة الإنتاجية. غير أن تقديرات الرابطة المعنية بدراسات الاقتصاد الكوبي، ومقرها الولايات المتحدة، تشير إلى أن التكوين الرأسمالي انخفض انخفاضا حادا على مدى العقدين الماضيين وتباطأ النمو الاقتصادي في السنوات الأخيرة. ويبدو من المرجح ألا يكون لدى كوبا، على المدى القصير على الأقل، الطاقة الاستيعابية اللازمة لاستضافة عدد أكبر بكثير من السياح عما تستضيفه الآن لأن زيادة عدد الغرف السياحية والبنية التحتية اللازمة تستغرق بعض الوقت.

والبحوث التجريبية على هذا الموضوع قليلة، وتركز معظم الدراسات على المدى القريب، الذي يتقيد بالبنية التحتية السياحية. وخلال هذه الفترة، سيؤدي رفع حظر سفر مواطني الولايات المتحدة إلى إعطاء مستهلكي الولايات المتحدة خيارا أرخص نسبيا للسفر إلى البحر، وبالتالي زيادة الطلب على السياحة في كوبا التي يمكن أن تؤدي بدورها إلى زيادة الأسعار في كوبا، في حالة تساوي جميع العوامل الأخرى. وسوف تعتمد النتيجة النهائية على عوامل عديدة، بما في ذلك ما الذي سيحدث مع ملايين السياح الذي يمضون إجازاتهم الآن في كوبا.

ويقول الاقتصادي رافاييل روميو، الذي أجرى تقييما للتأثير المحتمل لرفع القيود على السفر من الولايات المتحدة إلى كوبا على منطقة الكاريبي، إن القيود على السفر التي تفرضها الولايات المتحدة حاليا عملت بشكل فعال كحماية تجارية في بقية منطقة الكاريبي، وخاصة بورتو ريكو وجزر فرجن الأمريكية، بسبب حدودهما المفتوحة مع البر الرئيسي. ويستخدم روميو، وهو اقتصادي سابق في صندوق النقد الدولي، نموذجا اقتصاديا يدمج القيود المفروضة على السفر بين الولايات المتحدة وكوبا ويراعي الكوارث الطبيعية والعوامل الأخرى. ويعمل النموذج الذي يطلق عليه اسم نموذج الجاذبية والذي يستخدمه روميو على تقدير التكاليف الخاصة التي يتكبدها السياح الأمريكيون بسبب القيود الثنائية الناتجة عن المسافات البحرية ويخلص إلى أن التكاليف الكلية للأمريكيين الذين يزورون كوبا تعادل تكاليف السفر إلى جنوب المحيط الهادئ أو حتى أنتاركتيكا لقضاء الإجازة (راجع الإطار). ويشير ذلك إلى أن المقاصد السياحية البعيدة يمكن أن تكون قد استقبلت عددا أكبر من السياح الأمريكيين عما كانت ستستقبله بدون القيود التي فرضتها الولايات المتحدة على السفر إلى كوبا.

المجموع ليس صفرا

من شأن رفع القيود أن يزيد القوة الشرائية لمستهلكي الولايات المتحدة على المدى القصير. وعلى هذا الأساس، يخلص النموذج الأصلي لروميو إلى أن فتح أسواق كوبا أمام المسافرين الأمريكيين سيزيد العدد الكلي للسياح الذين يزورون الكاريبي بنسبة تتراوح بين ٤٪ و١٠٪ (Romeu, 2008). وبالتالي لا يوجد ما يدعو صناع السياسات في جزر الكاريبي الأخرى إلى اليأس. فالنمو في السياحة الأمريكية إلى كوبا لا يعني بالضرورة انخفاضا مكافئا في عدد الزوار إلى أماكن أخرى من منطقة الكاريبي. وبعبارة أخرى، فلن تكون حصيلة هذه التغيرات بالضرورة صفرا. وبالإضافة إلى ذلك، هناك عدد كبير من السياح المحتملين الجدد لمنطقة الكاريبي من أماكن مثل كندا.

وهذا لا يعني أن التحول سيحدث بدون تغيير في المقاصد السياحية. وربما يشتمل ذلك على إعادة توزيع، أو ما يطلق عليه أثر الإحلال. فتدفق السياح الأمريكيين بقوتهم الشرائية الأعلى نسبيا سيشغل فنادق كوبا بسرعة نتيجة تقديمهم لعروض تزيد عن السياح التقليديين وتغيير مقصدهم إلى أماكن أخرى. ومن المرجح أن يذهب عدد من راغبي الاستمتاع بالشمس الذين كانوا يقصدون كوبا إلى جزر أخرى في الكاريبي، بما في ذلك تلك التي يهجرها السياح الأمريكيون. ولكن من الصعب تحليل أي من هذه الجزر سيحقق مكاسب أو أيها سيتعرض لخسائر.

ويتوقع روميو أن المقاصد السياحية التي تختلف ثقافيا عن الولايات المتحدة ستكون أحسن حالا. وبعبارة أخرى فإن المقاصد التي تكون نسبة كبيرة من زائريها من أسواق غير أسواق الولايات المتحدة، مثل الجمهورية الدومينيكية وغواديلوب وبربادوس، ستكون في وضع أفضل لجذب السياح الذين توقفوا عن الاتجاه إلى كوبا نتيجة ذهاب الأمريكيين إليها. ويمكن أن تفقد المناطق التي تعتمد كثيرا

تكاليف القيود على السفر

تراعي نظرية تجارة الجاذبية حجم التجارة أو السياحة بين البلدان على أساس حجم البلد وتكاليف تجارته. وعادة ما يستخدم النموذج المسافة الجغرافية بين البلدان كمؤشر بديل لتكاليف التجارة. وأعد رافاييل روميو نموذجا لحالة معاكسة للواقع حيث يعزل تأثير قيود السياحة الثنائية بين الولايات المتحدة وكوبا، ثم يضبط النموذج لمراعاة إزالة هذه القيود. وتراعي تقديرات النموذج المسافة واللغة والدخل واتفاقيات التجارة وأمور أخرى مثل تركيز السوق. وتشير تقديرات روميو إلى أن القيود ترفع تكاليف السفر بالنسبة للسائح الأمريكي بمقدار يزيد عما يدفعه أي شخص آخر من آسيا للذهاب إلى كوبا. وسيكون إزالة الحاجز مكافئا لانخفاض حاد في تكاليف السفر بين الولايات المتحدة وكوبا.

سائحة تصور سيارات كلاسيكية، هافانا، كوبا.

على الولايات المتحدة الآن، مثل جزر فرجن الأمريكية وأروبا وجزر البهاما وكانكون، السياح الأمريكيين بسبب ذهابهم إلى كوبا. والتأثير الصافي سيعتمد أيضا على عدد الزائرين الأمريكيين الذين ستجذبهم كوبا ولم يكونوا يمضون إجازاتهم من قبل في الكاريبي.

وأكد باحثو الصندوق (Laframboise and others, 2014) نتائج الدراسات التي تفيد بأن عدد السياح القادمين وإنفاقهم يتأثران بالأسعار

سحر كوبا التي تبدو في منتصف القرن لن يستمر طويلا.

والدخول، ويتأثران بشدة بالبطالة في الأسواق التي تورد السياح. وخلصوا أيضا إلى أن أعداد القادمين في المقاصد الراقية لا تتأثر بعوامل الأسعار (بما في ذلك تأثير سعر الصرف). ويمكن أن تلعب التأثيرات، أو المرونة بلغة الاقتصاديين، دورا في تحديد المكان من منطقة الكاريبي الذي سيتجه إليه المسافرون الذين كانوا يقصدون كوبا.

التوقيت مهم

يوصي روميو بأن تتحرك المقاصد الكاريبية لتوسيع قاعدة عملائها قبل إعادة الحركة بين الولايات المتحدة وكوبا. والتوقيت مهم لأن جذب السياح الذين لم يعودوا يقصدون كوبا نتيجة تدفق الأمريكيين إليها يمكن أن يعوض بعض الخسائر ويؤمن نسبة من مكاسب السياحة المتزايدة. ويوصي روميو أيضا باتخاذ خطوات أخرى مثل التخصص في خدمات مصممة خصيصا للعملاء وتقديم تلك الخدمات، استنادا إلى سمات غير اقتصادية مثل الثقافة واللغة؛ وزيادة المنافسة بين شركات الطيران؛ وضمان عدم زيادة التكاليف؛ وخاصة شروط حصول السياح على تأشيرات الدخول بالنسبة للزائرين من الولايات المتحدة.

وبالفعل، تبين أهمية مراعاة الأسعار بالنسبة لمعظم المسافرين الحاجة المستمرة إلى احتواء التكاليف وإلى مقاصد راقية أقل حساسية للتكاليف لضمان أن تظل جودة المنتجات والخدمات متسقة مع منتجهم الفاخر.

ولأن كوبا لا تزال تبدو، وبشكل مذهل، مثلما كانت في الخمسينات، يمكن أن يراها قريبا كثير من الأمريكيين مثلما كان يراها أيقونة الأدب الأمريكي المحب للشراب إرنست هيمنغواي. وقد يكون هذا التأثير الزمني ميزة رئيسية بالنسبة للمتقاعدين الذين يشعرون بالحنين ويريدون قضاء بعض الوقت في حانة الفلوريديتا التي تعتبر محل ميلاد كوكتيل «الدياكيريس» ومكان الانتعاش المفضل لهيمنغواي (وقد شهدت هذه الحانة رقمه القياسي، حيث شرب ١٥ كوبا من «الدياكيريس» الخالية من السكر وشديدة البرودة في جلسة واحدة). ويمكن أن يؤدي فتح أسواق كوبا للمسافرين الأمريكيين إلى تغير كبير في السياحة في منطقة الكاريبي، ولكن إذا استعدت البلدان واستثمرت، فقد لا تأتي المكاسب التجارية بالضرورة على حساب البلدان المجاورة. غير أن الوقت قد يكون بالغ الأهمية. فسحر كوبا التي تبدو في منتصف القرن لن يستمر طويلا بعد أن تتوسع هذه السوق الفريدة وتتطور لاستيعاب وصول السياح الأمريكيين. ■

نيكول لافرامبواز نائبة رئيس قسم في إدارة نصف الكرة الغربي بالصندوق.

المراجع:

Laframboise, Nicole, Nkunde Mwase, Joonkyu Park, and Yingke Zhou, 2014, "Revisiting Tourism Flows to the Caribbean: What Is Driving Arrivals?" IMF Working Paper 14/229 *(Washington: International Monetary Fund).*

Romeu, Rafael, 2008, "Vacation Over: Implications for the Caribbean of Opening U.S.–Cuba Tourism," IMF Working Paper 08/162 (Washington: International Monetary Fund).